تستطيع قراءة افكار غيرها ومعرفة الغيب ولا تستخدم قوتها هذه في ما يكسبها اموالاً طائلة ويكفيها مؤونة الوقوف في المشاهد العمومية والتعرض لنوم المنضيمي الذي تدعيه وهو يضعف الجسم والعقل . وان وجد واحد في الدنيا يستطيع ان يقرأ افكار غيره ويكشف الغيب لم يتعذر عليه ان يكتشف افكار الماليين والمضاربين الكبار ويكتسب منهم او بواسطتهم الوفاً من الجنيهات كل يوم او يصرف الورق الذي في يد لاعبي القمار ويكتسب كل اموالهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ولغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البارونة بُردت كوتس

هي اكبر المحسنات توليت في الثلاثين من دسمبر الماضي عن ٩٢ سنة . وهي ابنة السر فرنسيس بردت واسمها ابنة توما كوتس مشيد بنك كوتس المشهور . كان له ثلاث بنات موصوفات بجمالهن الكبرى واسمها سوسان اقترنت بارل غلفرد والوسطى واسمها فرنسس اقترنت بركيز بط والصغرى واسمها صوفيا اقترنت بالسر فرنسيس بردت وهي ام البارونة بردت كوتس صاحبة الترجمة . وتوفيت زوجة توما كوتس فاقترن بزوجة أخرى ومات عنها سنة ١٨٢١ من غير ان يرزق منها ولداً وخلّف لها ثروته الطائلة كلها وتوفيت هي سنة ١٨٣٧ وتركت هذه الثروة الى ابنة ابنها صاحبة الترجمة وكان عمرها حينئذٍ ٢٣ سنة فاضافت اسم جدها ابي امها الى اسم ابيها وسميت من ذلك الحين مس بردت كوتس . وتقدّر الثروة التي انتقلت اليها حينئذٍ بمليون جنيه . ومليون جنيه حينئذٍ بمثابة ملايين كثيرة في هذا العصر ولعلها كانت اغنى بنات عصرها ولذلك اتجهت اليها الانظار من كل صوب وجعلت مكاتب الخطّاب تنهال عليها بالالوف لكنها بقيت عزباء واشتغلت بتوزيع الصدقات وعمل الخيرات على اسلوب يكون منهُ النفع الاعظم والضرر الاقل . فبنت ملجأ للبنات اللواتي اكرهن على البغاء فجمعتهن اليها واصلحت شؤونهن وارسلتهن الى المستعمرات حيث تزوّجن او عملن اعمالاً محللة شريفة

عشن منها . ولما كسدت سوق عمل الحرير جمعت النساء العاملات به وانشأت لهنَّ مدارس خياطة تعلَّمن فيها وصرن قادرات على تحصيل معيشتهنَّ . وانشأت مدارس صناعية ومكاتب عمومية وسبلاً يشرب منها المارَّة

ولما نشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية سنة ١٨٧٧ ارسلت الاموال الطائلة لتنفق على جرحى الاتراك والفقراء المهاجرين منهم فانفق ثلاثون الف جنيه في هذا السبيل وانفقت خمسين الف جنيه على انشاء اسقية كولبيا

قلنا انها ورثت مليون جنيه منذ اكثر من سبعين سنة والظاهر انها تركت عند وفاتها اقل من ذلك فكانت تتصدَّق بكل ما يزيد من ريع اموالها عن نفقاتها الخصوصية . ولم نطَّلع على تقدير الاموال التي تصدَّقت بها في حياتها ولكننا لانظن انها تقلُّ عن خمسين الف جنيه كل سنة فلو جُمعت مدة السبعين سنة من حين تَرك المال لها الى حين وفاتها واضيف اليها ربح بمعدل اربعة في المئة فقط لبلغت نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات

ومن اغرب ما جرى لهذه السيدة انها عاشت كأن لا غرض لها من الدنيا الاَّ توزيع الاموال التي ورثتها على اسلوب يكون منهُ النفع الاعظم للمحتاجين الى المساعدة ولم تقتصر على مساعدة الناس وتخفيف متاعبهم بل ساعدت الحيوانات وكان لها اليد الطولى في انشاء الجمعيات لمنع معاملة الحيوانات بالقسوة كما انشأت جمعية لمنع معاملة الاولاد بالقسوة وانفقت اموالاً طائلة في هذا السبيل واستمرَّت عزباء الى ان صار عمرها ٦٧ سنة وحينئذٍ اقترنت بالمستر وليم اشمد بارتلت سكرتيرها الخاص وكان عمرهُ اذ ذاك ثلاثين سنة فقط فتسمَّى باسمها

وكانت من اعزّ صديقات الملكة فكتوريا وقد منحتها الملكة لقب بارونة سنة ١٨٧١ . ومنحتها مدينة لندن حريتها وهو امتياز لم تنلهُ سيدة قبلها كما انها السيدة الوحيدة التي نالت لقب شرف باستحقاقها الخاص . وكتَّاب سيرتها مجمعون على انها كانت مثالاً في الهمَّة وبذل الوسع في مساعدة ابناء نوعها وانها ماتت بشيخوخة صالحة وقد شبعت ايامًا وغنىً وكرامةً وخدمت جيلها بمشورة الله

دفتر الحساب

دفتر الحساب من الزم اللوازم لربة البيت وعليها ان تهتم به اهتمامها بملابسها وادوات زينتها وان تشتري دفترًا جديدًا لكل سنة وتقابل الاسعار بعضها ببعض من يوم الى يوم ومن شهر الى آخر لئلا يخدعها الطباخ او الخادم الذي يشتري الاصعمة . ويجب عليها ان لا تكتفي بكتابة اثمان الاصعمة بل يجب ان تكتب ايضاً كل ما تصرفهُ يوميًّا وكل ما تأخذهُ من زوجها

ادارة البيت

من حين يقترن الرجل بزوجته تترتب عليهما واجبات كثيرة لا بدَّ من القيام بها والاَّ ساءت حال البيت والامة لان الامة مؤلفة من بيوت فاذا عاش اهالي البيوت بالمحبة والوئام حسنت حال الامة كلها والاَّ فلا

ما دام الزوج والزوجة خطيبين قلما يخطر ببالهما امر المعيشة من حيث المأكل والملبس والمأوى ولكن لا بدَّ من الاهتمام بذلك كله بعد الزواج . والانسان نفس وجسد فلا تقتصر معيشتهُ على المأكل والمشرب والمأوى والملبس بل لا بدَّ لها من امور ادبيَّة تنعش النفس والاَّ صارت الحياة بهيميَّة . فاذا ثقلت واجبات المعيشة على الزوجين خيف ان ينسيا المحبة الادبيَّة التي تنعش النفس وهما يسعيان وراء المعيشة المادية اللازمة للحياة الجسديَّة ولذلك يترتب عليهما ان يحذرا من الوقوع في هذه الورطة التي تزيل كل ما في الحياة من السعادة الادبيَّة وان يبذلا جهدهما دائمًا لانعاش قواهما النفسية . والمرأة التي لا يهتمُّ زوجها بها ولا يسعى الاَّ الى جلب الطعام والكساء لا تفرق عن المطأة . والرجل الذي لا تبالي زوجتهُ الاَّ بتدبير طعامهِ وكسائهِ لا يفرق عن الرجل الذي هجرتهُ زوجتهُ او عن رجل قائم في فندق . ولعلَّ لا يكون ذلك مقصودًا لا من الزوج ولا من الزوجة بل يكون مجرَّد اهمال لغير سبب فيزول بقليل من الانتباه والاَّ فاذا تمادى الزوجان فيهِ ساءت العاقبة واظلم نهار الحياة . قالت الدكتورة فلورنس درسلر وافادت " ان شمس المحبة يجب ان تشرق في البيت دائمًا حتى تهجرهُ خفافيش الاختلاف ولا يقيم فيهِ يوم الخراب "

وادارة البيت صعبة لا يسهلها الاَّ ما تجدهُ الزوجة في نفسها من المحبة لزوجها واولادها . وتزيد صعوبتها لانها دائمة مستمرَّة لتجدُّدها كل يوم مدى العمر لكن المحبة تخفف هذه الصعوبة او تزيلها . والاهتمام بتدبير النفقة اللازمة لا يقلُّ صعوبة عن ادارة البيت وهو دائم متصل ايضًا لكن المحبة تزيل مشقتهُ ولا سيما اذا شاركت الزوجة زوجها في الاهتمام بشؤونهِ والتقتير على نفسها لكي يبقى في سعة او لكي لا يضطر ان يجهد نفسهُ فوق طاقتهِ . وكم من زوجة تبيت بلا اكل لكي لا تستدين ديناً لعجز زوجها عن ايفائهِ . وعلى الزوج ان يطلع زوجتهُ على اشغالهِ كلها ويأتمنها على امواله وما يوفرهُ من نفقات البيت لانها احرص منهُ . واما اذا احتقر رأيها ولم يطلعها على اشغالهِ ادَّعاء منهُ انها لا تفهم ذلك صغرت في عيني نفسها وتألمت في باطنها وقد لا تفهم طرق الاشغالهِ ولكنها تصير تفهمها بعد ان يطلعها عليها وتكون اكبر مساعد لهُ فيها . والغالب ان يكون رأيها اصح من رأيهِ لانها تدرك بفراستها مالا يدركهُ هو

بعقلهِ . واذا اعتمد عليها زادت مهارة حتى تصير اكبر معين لهُ في تدبير اشغالهِ . وهي المعين الوحيد المخلص لهُ الذي لا يطلب منهُ اجرًا ولا شكرًا

فاذا جرى الزوجان على ما يجب في ادارة بيتهما زادت راحتهما ورفاهتهما جدًّا وعقلاً والاَّ صار بيتهما فندقًا للاكل والشرب والنوم لا غير

وادارة البيت عمل شاق كما تقدم يقتضي المامًا بكثير من العلوم والفنون ولكن لا يراد بحسن ادارة البيت ان تعمل الزوجة كل اعمالهِ بيدها الاَّ اذا كان صغيرًا جدًّا اي اذا كانت احوال زوجها المالية لا تسمح لهُ بسكن بيتًا كبيرًا . فان الزوج والزوجة يستطيعان ان يعيشا في غرفة واحدة وحينئذٍ تكون واجبات البيت قليلة جدًّا وتستطيع الزوجة ان تقوم بها كلها وان تساعد زوجها في اعمالهِ ايضًا كما يفعل اكثر الفلاحين ولكن اذا كانت احوالهِ الزوج المالية ومركزهُ الاجتماعي تسمح لهُ وتوجب عليهِ ان يسكن بيتًا كبيرًا ويتردد ويزار صارت واجبات البيت كثيرة متنوعة تعجز الزوجة عن القيام بها كلها وتضطر ان تستخدم خادمًا او اثنين او اكثر . واذا حتم عليها زوجها لبخلهِ او لقصر نظرهِ في العواقب ان لا تستخدم احدًا بل تقوم بكل اعمال بيتها بنفسها فتطبخ وتغسل وتكوي وتنظف البيت وهلمَّ جرًّا فالغالب انها تفعل حسب ارادتهِ ولكن تحط ثواها حالاً وتسوء صحتها ويضطر ان يعطي الطبيب اكثر مما كان يضطر ان يعطي الخادم واستحال البيت من فردوس نعيم الى هوَّة شقاء وجهنَّم مقيم . وكم من فتاة خطبها شاب وقضيا زمن الخطبة في حديقة الحب تحفُّ بهما ازهارهُ ورياحينهُ وهي تحسب ان حياتها كلها تكون بهجة وسرورًا ثم لما تزوَّجت وجدت زوجها طاغية لا يشفق ولا يرحم فانتفت البهجة من حياتها وحلت همها في قلبها فحمل جسمها واعتلَّ وبدت عليها علامات الشيخوخة قبل ان تبلغ سن الكهولة . وكم من بيت تظنهُ مرتعًا للسعادة وفردوسًا للنعيم وهو سجن مؤبَّد لساكنيهِ والسبب في ذلك جور الزوج واهمالهُ لما يجب عليهِ نحو زوجتهِ واولادهِ . والبيت للمرأة وهي التي تديرهُ ولكن ان كان زوجها لا يساعدها في ذلك بل يقوم حائلاً في وجهها ويطلب منها اكثر مما تستطيعهُ عجزت عن ادارتهِ وساءت حالهُ وحالها . ولا يكون البيت بيتًا مالم يكن فيهِ غذاء كاف وشراب منعش للجسد والنفس معًا . وامرهُ موكول للمرأة وهي تدير حركتهُ بحكمتها وصبرها لانها تفعل ما يطلب منها بهمة وسرور اذا رأت زوجها يعرف قيمتها ويساعدها ولو بنظرة استحسان وكلمة طيبة لان اعمالها تقتضي شجاعة ادبيَّة شديدة والمرأة قليلة الشجاعة بالطبع ولكن نظرة تشجيع من زوجها تبث في نفسها الشجاعة المطلوبة .

وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي